تعدد المعنى بين الرسم العثماني والخط العربي القياسي

– قراءة تفصيلية عن عناصر –

أ(ة).وهيبة بوشريط
جامعة المدية

ملخص:

الرسم العثماني تضمن طريقة مخصوصة في كتابته ساهمت في إعجازه، فهذه الطريقة في الكتابة هي مجال بحث العلماء، لكنها تختلف عن الكتابة في الخط العربي الإملائي كتابة ومعنى، فالمعنى أمر بالغ الصعوبة، فهو ميدان كل علم، والقرآن خير دليل على ذلك، وبهذا الإشكالية كانت: هل زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى؟ وماهو تخريجه عند العلماء؟

Abstract:

the otman script implies a specific way in its writings which participated in its " Miracle " this way of writing is a real field of research for scholars.

but it differs from the Arabic writing in the way of writing and the meaning too, because it's a very difficult task, it is also a field which every science has to deal with. The best proof for that is Quran , that's made the following question:

Does the increase in the form implies change in the meaning? and how do scholars interpreted it?

توطئة :

القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل المنّزه عن الخطأ، المعجز بنظمه ورسمه، مخفي فيه أسرار لا تكشف، ألاّ لمن فتح الله عليه ونور له الطريق، فهو أوجز لفظ في أعجز أسلوب ونظم، نزل على سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فكان موضع اهتمامه الكبير حفظه وتدوينه ليلا تطاله يد الأعداء فتعبث به كما فُعل بالتوراة و الإنجيل، كُتب بين يديه، ووجب خلوده بالطريقة التي ارتضاها، وسُلِّم القلم لزيد ليسير على ذات الدّرب وذات الطريقة التي علَّمها إياه معلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم، فكانت مسيرته حافلة حتى سُلِّم المصحف الإمام إلى ثالث الخلفاء سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه –مجموعًا ومدونًا، فكان من جملة الأسباب لاختيار النبي صلى الله عليه وسلم زيدًا لهذا الشرف العظيم هو حسن الخط، ولهذا كان للخط دورًا عاليًا في تعزيز الإسلام، فهو الجانب الكبير من الإبداع الفني الذي حققه العرب والمسلمون، وبهذا حدث تمازج كبير بين الرسم العثماني والخط العربي القياسي، حيث كُتبَ الأوّل بالثاني، والأوّل لم يخضع لكل قواعد الثاني ، بل تفَرّد عنه في البعض، ووافقه في الجل، وبهذا كان للرسم العثماني طريقة مخصوصة في كتابته ساهمت في إعجازه.

ولهذا الاختلاف إعجاز عظيم، بعضه اكتشفه العلماء، فكان اكتشافًا عظيمًا نوّر البصائر واستنهض الهمم للبحث في أسرار التنزيل الرباني الذي لا نظير له، جله لا يزال في طور البحث من طرف العلماء ، وبعضه الآخر لا

يعلمه إلا الله لحكمة أخرى لميعادها، فما سر اختلاف المعنى وتعدده بين الرسم العثماني والخط العربي القياسي؟

حقيقة الإعجاز القرآني:

المعجزة هي الأمر الخارق للعادة، وهي مقرونة بالتحدي يظهرها الله على يد أنبيائه تأكيدًا وتأييدًا لرسالته، فقد أورد السيوطي:" أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرونة بالتحدّي سالم عن المعارضة، وهي إما حسية وإما عقلية"[1].

فالقرآن ليس بشعر ولا بنثر وبهذا خالف طريقة العرب وأسلوبهم وأعجزهم على أن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا إنسًا وجنًا لخاب سعيهم وكان بورًا وصار وبالاً عليهم وثبورًا (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً) النساء (82)

فهو كلام رباني منزّه عن الخطأ والاختلاف ، منفرد بأسلوبه ، معجز بألفاظه و معانيه ، متآلف ، متناسق متحد المباني، منسجم المعاني ....

الرسم العثماني بين التوقيف والاصطلاح:

وردت كلمة (رسم) بمعنى الأثر وحسن المشي... و رسم على كذا وكذا أي كتب[2]، و قد اشتهر هذا الاستخدام على خط المصحف الذي كتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم في عهد أبي بكر ثم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنهما.

---

[1] السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، ج2، ص116 .

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج2، تحقيق عبد الله علي الكبير، طبعة جديدة، القاهرة، دار المعارف، ص1646.

أما اصطلاحاً فهو الرّسم المخصوص الذي كتبت به حروف القرآن وكلماته أثناء كتابة القرآن الكريم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن خلال الجمع الذي تمّ له في عهد أبي بكر رضي الله عنه في صحائف، والنسخ الذي تمّ في عهد عثمان رضي الله عنه في المصاحف.

وقد عرفه بعض العلماء في الاصطلاح بأنه:" الوضع الذي ارتضاه الصّحابة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه[1] ، لكن سبب التّسمية والنّسبة إلى عثمان رضي الله عنه ليس لها علاقة بالابتكار أو التغيير لأن مصاحف عثمان رضي الله عنه هي ذاتها الصّحف التي كانت في عهد النّبي صلّى الله عليه وسلم ، وفي عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أما عن نشأة الرّسم العثماني فقد نشأ يوم نزول القرآن الكريم لأن النبي صلّى الله عليه وسلم كان حريصًا كلّ الحرص على كتابة القرآن، فكان له كُتّاب وحي يتلقّفون ما ينزل عليه فيكتبونه في وعي وإدراك ، ودقة وإتقان[2].

هذا حرص النبي صلّى الله عليه وسلم الذي كان يعجل بقراءة القرآن لكي لا ينساه لهذا اختاره الله سبحانه وتعالى بشيرًا ونذيرًا، وكانت له الطريقة المثلى في كتابة القرآن فهو الذي قال لمعاوية:" ألقي الدّواة وحرِّف القلم وأقم

---

[1] طه العابدين طه، مزايا وفوائد الرسم العثماني، مجلة البحوث، والدّراسات القرآنية، العدد الثاني،(درط) [(ر د م ط)،(ددط)]، ديسمبر 2006، ص 10

[2] احمد مختار عمرو عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية مع مقدمة القراءات وأشهر القراء، ط2، الكويت (د د ط)، 1408هـ-1988، ج1،ص02.

الباء وفرِّق السين ولا تعوِّر الميم وحسن الله ومدّ الرحمن [1] فالنبي صلّى الله عليه وسلّم كان عالماً وعارفاً ومعلّماً ، توفي النبي صلى الله عليه وسلّم والقرآن مجموع كله والروايات الموثوقة تثبت ذلك.

أما عن قضية أن الرسم العثماني توقيف أم اصطلاح فقد كثر الاختلاف حول هذه القضية وتعددت المذاهب:

- **المذهب الأول:** الرسم العثماني توقيفي:" لا تجوز كتابة المصحف الشريف بغير الرّسم العثماني ، فهو توقيفي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم وعن الصحابة رضي الله عنهم حيث أمرهم صلّى الله عليه وسلّم بكتابته وأقرهم عليه [2] ، وكان لهذا المذهب أنصار " هو مذهب جمهور الأمة سلفًا وخلفًا، ونقل كثير من العلماء الإجماع على ذلك [3].

- **المذهب الثاني:** الرّسم العثماني اصطلاحي: يرى أصحاب هذا المذهب " جواز كتابة القرآن بالرسم الإملائي الحديث، وذلك لأن الرّسم ليس توقيفيًا بل هو مما اصطلح عليه أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم [4]، ومن أنصار هذا المذهب ابن خلدون في مقدمته، والقاضي أبو بكر الباقلاّني في كتابه الانتصار، وعدد من المعاصرين واستدلوّا بأدلة منها:

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص03.

[2] نبيل أهقيلي، الرّسم العثماني، وأبعاده الصوتية والبصرية، مذكرة ماجستير ، إشراف عبد المجيد عيساني،ص15.

[3] شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه، (د ر ط)، مكة المكرمة، دار السلام، 1418هـ، ص64.

[4] طه عابدين طه، مزايا وفوائد الرسم العثماني، مرجع سابق، ص39.

- " إن كتابة المصحف على الرّسم العثماني قد توقع الناس في لبس، وحيرة، ومشقّة، وحرج، ولا تمكنهم من القراءة الصحيحة، وكتابة القرآن بالرسم الإملائي الحديث فيه تيسير على النّاس، ورفع للمشقة والحرج...، وليس في الكتاب ولا في السنّة ولا في إجماع الأمة ما يوجب التزام الرّسم العثماني، ويدل على حرمة مخالفته [1].

- **المذهب الثالث:** يرى أصحاب هذا المذهب "جواز كتابته بالرّسم الحديث لعامّة النّاس حسب قواعد الخط في أي عصر، مع الإبقاء على الرّسم العثماني والمحافظة عليه للعلماء والخاصة، من أنصار هذا المذهب الشيخ **عز الدين عبد السّلام وبدر الدّين الزّركشي**[2] أدلتهم " لا يجوز كتابة المصحف على الرّسوم الأولى باصطلاح الأئمة ، لئلا يوقع في تغيير الجهّال، ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه، لئلا يؤدي إلى دروس العلم ، وشيء أحكمته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين، ولن تخلو الأرض من قائم الله بالحجة [3].

- **صفوة القول:** ما قاله الجمهور واتفقوا عليه أنّ الرسّم العثماني توقيفي ولا يجوز تغييره، لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم هو الذي أقرّه وأملاه على الصّحابة رضي الله عنهم، وهم الذين كتبوه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، أما قول أصحاب

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص39.

[2] شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه، مرجع سابق، ص 68.

[3] بدر الدين محمد عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق متولي منصور، ط1، القاهرة، مكتبة دار التراث، (د س ط)، ج1، ص421-422.

المذهب الثالث يكتب للعامة بالرّسم الإملائي الحديث حيث يوافقون أصحاب المذهب الثاني ، لكون الرّسم العثماني فيه مشقة وحرج فهذا ليس داعيًا لتغيير الرّسم العثماني ، فالمعروف من زمن النّبي صلّى الله عليه وسلّم إلى يوم النّاس هذا والمدارس القرآنية مفتوحة لكل من يريد حفظ وقراءة القرآن على الوجه الذي نزل، ولا مشقة في ذلك بل لذة لا تضاهيها لذة في الدنيا، أما عن المشقّة فتزول بوجود المعلم، وليس هناك علم يُتعلم بلا معلم ، وللرسم العثماني قواعد تُتّبع.

قواعد الرسم العثماني:

- **الحذف:** هو الإزالة والإسقاط، والحروف التي تحذف من الرّسم هي خمسة:" الألف، الواو، الياء، وهذه يكثر فيها الحذف، في حين يقل الحذف في حرفين اللاّم والنّون، وينقسم الحذف إلى ثلاث أنواع:

حذف الإشارة: وهو الذي يشير إلى قراءة جاء فيها الحذف (**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ**) البقرة (51)

1- .حذف ألف واعدنا.

2- حذف الاختصار: ويكون في الألفاظ التي وردت كثيرًا في القرآن، مثل حذف ألف جمع المذكر السالم والمؤنث السّالم مثل (**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً**) نوح (28)

3- حذف الاقتصار: وهو يختص بكلمة دون نظائرها في القرآن مثل (إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) الانفال(42) رسمت بحذف الألف بعد العين[1].

الزيادة : خلاصتها أنّ الألف تزاد بعد الواو في آخر كل اسم مجموع أو في حكم المجموع نحو **(الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) البقرة (46)**

، وبعد الهمزة المرسومة واوًا نحو (قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ) يوسف (85) [2] .

الهمز: خلاصتها أن الهمزة إذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها في (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ) الرحمن (41) ، وإذا كانت وسطًا فإنها تُكتب بحرف من جنس حركتها نحو (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) المعارج (1) .

البدل: وهو جعل حرف مكان حرف آخر ، كرسم الألف واوًا في : **(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ**

[1] نبيل أهقيلي، الرسم العثماني وأبعاده الصوتية والبصرية، مرجع سابق، ص14-15.

[2] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق فواز احمد زمرلي، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، (د س ط)، ج1، ص98.

قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) المزمل (20)

الفصل والوصل: ويعبّر عنهما بالقطع والوصل، أي قطع كلمة عمّا بعدها أو وصلها بها، مثل قطع "أم" عن "من" في: (هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً النساء) (109)؛ أو وصلها بها في: (أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ) الملك (21)[1]

ما كانت فيه قراءتان ورسم على إحداهما: ومن أمثلة ذلك : (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) البقرة (132)؛ وكتبت في مصحفي أهل المدينة والشام " وأوصى" وفي بقية المصاحف "ووصى" حسب قراءة كل منهم[2]

هذه قواعد الرسم العثماني التي من أعطاها حقها قراءة وحفظًا وكتابة فقد أعطى كتاب الله حقه كما قال عبد العزيز الدّباغ:" للقرآن أسرار لا تستفاد إلّا بهذا الرسم، فمن كتبه بالرّسم التوقيفي فقد أدّاه بجميع أسراره، ومن كتبه بغير ذلك فقد أدّاه ناقصًا، ويكون ما كتبه إنما هو من عند نفسه لا من عند الله" [3] .

فالذي قاله الشيخ عبد العزيز الدّباغ هو عين الصواب ، فالقرآن معجز بنظمه ورسمه، ومن قال غير هذا فلابد أن يعيد التفكير، فالذي نظم القرآن هو الله لا إله إلا هو، والذي كُتبَ بين يديه هو سيد الخلق أجمعين محمد صلّى الله

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص.98

[2] شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه، (د رط) ، مكة المكرمة ، دار السلام، 1418هـ، ص39.

[3] طه عابدين طه، مزايا وفوائد الرسم العثماني ، مرجع سابق، ص30-31.

عليه وسلّم ، والذي كان الواسطة بينهما هو سيدنا جبريل عليه السلام، وفي مقابل هذا نجد الخط القياسي أو الإملائي.

الخط العربي القياسي:

لقد اختلف العلماء في نشأة الخط العربي القياسي، فكثرت الروايات وتعدّدت وحدث تمازج بين مصطلحين أحدهما سابق والآخر لاحق، فأولها هو الكتابة ثم يليها الخط، وها ما أشار إليه الدكتور **أدهام محمد حنش** في كتابه إشكالية تحديد المصطلح حيث قال:" يمكن القول ، بلا أي تجنّ على أحد ، بأن أغلب – إذا لم نقل كلّ – الجهود المكرّسة للبحث في فن الخط العربي ودراسته ، تتجاوز تحديد مفهومه إلى مفهوم (الكتابة) ... بوصفها أساسا معرفيًا لتحديد مفهوم الخط ومصطلحه، ولكونها الأصل اللغوّي والمعرفي للخط[1] فالأصل هو الكتابة التي كانت عبارة عن رموز ونقوش وحفريات، ثم تطوّرت عبر العصور لتصبح هجاء بالحروف إلى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن، وحدث التمازج بين الكتابة والخط فصارا بذات المعنى، لكن لم يكن منشأ الخط بهذه السّرعة بل تعاقبت عليه مراحل عدة وتضاربت حول نشأته الآراء وأسست في ذلك نظريات قديمة وحديثة حيث أن نظرية التوقيف تجمع على أن" الخط الذي كتب به العرب توقيف من الله علّمه آدم عليه السلام [2] ويقول في هذا الشأن ابن الصّائغ:" قال الشيخ أبو العبّاس في كتاب لطائف الإشارات عن **أبي ذرّ الغفاري** ،قال سألت النّبي صلّى الله عليه وسلّم فقلت: يا رسول الله كل نبي

---

[1] أدهام محمد حنش، الخط العربي وإشكالية المصطلح، الفني، ط1، حلب، دار النهج، 1427، 2006م، ص37.

[2] إبراهيم جمعة ، قصة الكتابة العربية، ط1، القاهرة،(د د ط)، 1981، ص5.

بم يُرسل قال بكتاب منزل قلت: أي كتاب أنزله على آدم : ا ب ت ث ج[1] ... ويقول الدكتور محمود عباس حمودة :" وفي الخبر أن الله لما خلق آدم بثّ فيه أسرار الحروف ولم يبث ذلك في أحد من الملائكة...وقد روى مسلم كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك ،و المراد بالنبي سيدنا إدريس عليه السلام و بالخط ، خط الرمل... تعلّم من سيدنا آدم"[2] القول الذي يؤخذ ولا يرد هو قول النّبي صلّى الله عليه وسلّم هو أن منشأ الخط العربي يمتد إلى سيدنا آدم عليه السلام ثم أتت النظرية الجنوبية التي تنسب الخط إلى خط المسند الحميري حيث يمكن الاعتماد على القول في أن الكتابة العربية انحدرت من الكتابة الآرامية التي كان منها الخط الحميري المسند [3] ، أما النظرية الحديثة فتنسب الخط إلى الكتابة النبطية يقول في هذا الشأن الدكتور محمد بن سعيد شريفي:" أمّا النقوش التي عثر عليها ، وهي قبيل الإسلام بقليل، فتدل على اقتباس العرب كتاباتهم من صور الكتابة النّبطية وهم أيضًا قوم من العرب"[4] ، وبهذا الخط يمتد إلى الكتابة النبطية وقبلها إلى سيدنا آدم عليه السلام.

---

[1] عبد الرحمان يوسف بن الصائغ، تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب، ط2، تونس، دار السلام (د س ط)، ص28.

[2] محمود عباس حمودة . تطور الكتابة الخطية العربية، ط1، القاهرة ، دار نهضة الشرق، 1421هـ-2000م، ص17.

[3] حميد آدم ثويني، الأماني في أصول الكتابة العربية، ط1، عمان، دار صفاء، 1426-2006م، ص9.

[4] محمد بن سعيد شريفي، خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى العاشر الهجري، (د ر ط) ، الجزائر، المطبعة أحمد زبانة، 1982م، ص13.

أما عن الاختلاف بين الرسم العثماني والخط العربي فهذا له أسباب ، ففي البداية كانا يسيران في ذات الطريق لكن سرعان ما انفصلا في زمن النحاة وفي هذا الصدد يقول **غانم قدوري الحمد:**" والموقف الحق والمنهج الصّواب في فهم حقيقة العلاقة بين الرّسم المصحفي والإملاء العربي هو أن الكتابة العربية أتى عليها حين من الدّهر كانت تكتب بالصّورة التي نجدها في الرسم العثماني تشهد لذلك النّقوش التي ترجع إلى القرن الهجري الأوّل ، ولكن اتّساع استخدام الكاتبة العربية في القرون الهجرية الأولى قد أظهر الحاجة بوضوح إلى قواعد للكتابة أكثر تحديدًا وضبطًا فاتجه النّاس منذ القرن الأول إلى تكميل ما يبدو في الكتابة العربية من نقص وإلى توحيد ما فيها من تعددّ...لكن هذه الحركة التكميلية والتقعيدية للكاتبة العربية لم تبتعد بها عما هي عليه في رسم المصاحف الأئمة" [1] ما يلاحظ من قول غانم قدوري الحمد هو أن الرسم العثماني كان موافقًا تمامًا للكتابة والخط منذ البداية ، ولكن الذي حدث هو أنّ النّحويين استحدثوا قواعد غيروا فيها مسار الخط العربي القياسي من المطابقة التامة مع رسم المصحف إلى المخالفة في بعض الحالات ، وفق قواعد من صنعهم.

تعدد المعنى واختلافه بين الرّسم العثماني والخط العربي القياسي وتقريبه:

هناك الكثير من الكلمات التي تكتب في الرّسم العثماني بطريقة مخصوصة، ومغايرة لما هو موجود في الخط العربي القياسي، هذا الاختلاف

[1] غانم قدوري الحمد، رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ط1، العراق، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، 1402هـ،1982 م ، ص 730.

في المبنى أدى إلى اختلاف في المعنى بين الرّسمين، إمّا بالزيادة أو الحذف أو الفصل أو الوصل...

-الزائد في الرّسم العثماني : في ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ الكهف (23) ؛ فالشيء في اللغة العربية بمعنى" ما يصح أن يُعمل ويُخبر عنه، الموجود"[1] ، حذف الألف في اللغة العربية من كلمة شيء لأن اللغة العربية تعتمد على النّطق في الأغلب ، ولأن الألف لم تنطق فبالضرورة لا تكتب ، أما في الرّسم العثماني فالأمر يتعلق بإعجاز ربّاني ينبغي إدراكه، وهذا ما قام به العلماء أمثال **الزركشي** الذي قال في هذا الشأن: " الشّيء هنا معدوم ، وإنّما علمناه من تصوّر مثله الذي قد وقع في الوجود فنقل له الاسم فيه، من حيث إنه يقدّر أنه يكون مثله في الوجود ، فزيدت الألف تنبيهًا على اعتبار المعدوم من جهة تقدير الوجود ، إذ هو موجود في الأذهان ، معدوم في الأعيان" [2] ، فالألف دلّت على وجود الشيء في الذّهن تصوّرًا معدومًا في الواقع، وفي: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الذاريات (47) ؛ يقابلها في اللغة العربية بأيد بمعنى" الكف أو أطراف الأصابع إلى الكتف ، وكذلك تعني الجاه والقدر ، والسّلطان"[3] ، أما في تفسير الجلالين فمعنى بأييد "بقوة"[4]، في اللغة العربية أيد جمع يد واليد تخص الإنسان فهي مكمن قوته وأداة عمله، لكن في الرّسم العثماني نَحَت منحى آخر بزيادة ياء أخرى يقول الإمام المراكشي في هذا الشأن:" إنّما كُتبت بأييد بياءين فرقًا بين الأيد الذي هو القوّة وبين الأيدي جمع يد، ولاشّك أن القوّة التي بنى الله بها السّماء هي أحق بالثبوت في الوجود

---

[1] أمل عبد العزيز محمود الأداء القاموس العربي الشامل،ط1، بيروت، دار الراتب، 1997، ص332.

[2] بدر الدين محمد عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن مرجع سابق، ص427.

[3] امل عبد العزيز محمود، الداء القاموس العربي الشامل، مرجع سابق، ص645.

[4] جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ط2، سوريا، دار الجيل، 1415هـ، 1995م، ص522.

من الأيدي ، فزيدت الياء لاختصاص اللغّة بمعنى أظهر في الإدراك الملكوتي في الوجود" [1] ، معنى أيد في القاموس هي" الجاه والسّلطان وفي الرسم العثماني تعني القوة"، المعنى بينهما متشابه لكن لو نظرنا من ناحية أخرى هل قوة الإنسان تشبه قوة الله في شيء، تعالى الله، فلا وجه للشبه بينهما، قوة الله بنى بها سبع سماوات وقوة الإنسان لا تخلق بعوضة، دلالة الياء كانت فاصل بين المعنيين.

-الحذف في الرّسم العثماني وما يقابله في الخط العربي القياس: يتجلى الحذف في: (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ) سبأ (5)، فالسعي لغة بمعنى" قصد" ، واصل السّعي في كلام العرب" التّصرف في كل عمل"[2]، أما في تفسير السّعدي :سعوا فيها ،كفرًا بها ، وتعجيزًا لمن جاء بها، وتعجيزًا لمن أنزلها" [3] ، سعي الكفار كان لإبطال آيات القرآن ، أمّا حذف الألف التي تدل على الجمع في اللغة فقد قال عنها الإمام الزركشي:" وقد تسقط في مواضع للتنبيه على اضمحلال الفعل" [4] ، دلالة هذه الألف في اللغة على الجمع وبحذفها دلّت على تشتت الكفار، فلا يجمع شملهم، ولا يثبتُلهم فعل.

-فيما كتبت فيه الألف واوًا على لفظ التفّخيم: يظهر في:(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ

[1] ابن البناء المراكشي، عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، www.al_mostafa.com

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق، ص20.

[3] عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمان بن معلا اللويحق، ط1، بيروت ، دار ابن حزم، 1424هـ، 2003م، ص642.

[4] بدر الدين بن محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن مرجع سابق، ص425.

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) المزمل(20) ، **للإمام الزركشي** في هذا رأي ومزية حيث قال:" والقصد بذلك تعظيم شأن هذه الأحرف فإن الصّلاة والزّكاة عمود الإسلام ...المراد بها الكلية في حكم الله"[1] ، كُتبت بالواو لحكمة بالغة ارتضاها النّبي صلّى الله عليه وسلّم ، وهناك من يقول كتبت على الأصل الأول، وإن كان هذا هو الأصح فلماذا كتبت الربا مرة بالألف ومرة بالواو ، هذا ولاشك يدعو إلى تعدد المعنى واختلافه.

-مد التاء وقبضها: في: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنْ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المجادلة (8)، المعصية لغة هي الزّلة وعدم الطّاعة لمن وجبت علينا طاعتهم، مدت التاء لدلالة يذكرها الإمام الزركشي :"مدّت في موضعين من سورة المجادلة لأن معناها الفعل والتّقدير، ولا تتناجوا بأن تعصوا الرّسول، ونفس هذا النّجوى الواقع منهم في الوجود هو فعل معصية لوقوع النّهي عنه"[2]، فلأنها أدّت إلى فعل وأثر ظاهر مدّت التاء ولو كانت العكس لقبضت.

-الفصل والوصل: فُصل في: (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) الانعام (134)، يقابلها في اللغة إنّما للوصل، فكان للفصل بدل الوصل دلالة عظيمة

[1] المرجع السابق نفسه، ص450.

[2] المرجع السابق نفسه، ص452.

يجملها لنا الإمام الزركشي بقوله:" إنّما كتبت إنّ ما لأنه مفصول المعنى، ولأن حرف"ما" هنا وقع على مفصّل ، فمنه خير موعود به لأهل الخير، ومنه شر موعود به لأهل الشّر، فمعنى ما مفصول في الوجود والعلم"[1].

-**حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف المعنى:** تتجلى في : (**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) البقرة (245)** ، البسطة في اللغة تعني " السعة ، الزّيادة، الطّول" [2]، لكن المعنى يختلف بين السّين والصّاد، لا نستطيع استبدال إحداهما بالأخرى لأنه يؤدي إلى اختلال المعنى، فهذا الإمام **الزركشي** يقارن ببسط بيبصط حيث يقول:" فبالسين السّعة الجزئية كذلك علّة التقييد، وبالصّاد السّعة الكلية، بدليل علّو معنى الإطلاق وعلّو الصّاد مع الجهارة والإطباق"[3]، فالسين حرف مهموس خافت فيه ضيق، والصّاد حرف مطبق فيه قوة و سعة وإطلاق يناسب المعنى ويزيده وضوحًا .

لقد كان لاختلاف رسم الكلمات في الرّسم العثماني مع الخط العربي القياسي حكمة بالغة ودلالة دامغة منها ما اكتشف ، ومنها ما يزال في حكم الغيب عند مليك مقتدر، وقد قال الإمام **الزركشي** في هذا الشأن العظيم:" واعلم أنّ الخط جرى على وجوه فمنها ما زيد عليه اللّفظ، ومنها ما نقص، ومنها ما كتب على لفظّة ، وذلك لحكم خفية، وأسرار بهيّة ، تصدّى لها أبو العباس المرّاكشي الشّهير بابن البناء في كتابه وبيّن أنّ هذه الأحرف إنّما اختلف حالها

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص456 .

[2] أمل عبد العزيز، **الأداء** ، القاموس العربي الشامل، مرجع سابق، ص109.

[3] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن ، مرجع سابق، ص486.

في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها ، ومنها التنبيه على العالم الغائب الشّاهد، ومراتب الوجود ، والمقامات، والخط إنّما يرتسم على الأمر الحقيقي لا الوهمي"[1]، والله أعلم بأسرار تنزيله، يكشفها متى شاء وعلى يد من يشاء من خلقه، فسبحان من خلق فسوى وقدّر فهدى.

[1] المرجع السابق نفسه، ص423